الجزء الحادي عشر		المجلد الاول

النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٩ و٢ ك ٢ ش سنة ١٩٠٩

الرجل المعدني

كنتُ في احد الايام جالساً الى مكتبتي اطالع بعض الصحف التي جاءني بها البريد· وفي بعضها وصف للزلازل الهائلة التي حدثت في ايطاليا موءخراً وقتلت نحو مئتي الف من السكان ودمرت مدينتي ريجيو ومسينا· فبعد ان تصفحت جانباً من تلك الصحف اسندت راسي بيدي واخذت اتامل في احوال الارض وما تحويه في باطنها من العجائب والغرائب التي كلما تقدمتُ في درس دقائقها اجدها اشد خفاءً وغموضاً· وقد امعنت في الخيال وتمثلت كثيراً من تلك الزلازل المخيفة التي حدثت في ايطاليا وفي جزائر الباسيفيك وعلَى شواطئ الاتلانتيكي وفي غيرها من اقطار الارض ودمّرت .

جزائر و بلداناً برمتها كما حدث ذلك في بعض جزائر المرتينيك والفيليبين واليابان وفي ارض كاليفورنيا وسان فرنسيسكو وغيرها من البلدان حيث كانت حوادثها هائلة مريعة تنفطر لها القلوب و كنت اتامل ذلك وانا في اشد حالات الاستغراب لعلمي بان الارض جسم كثيف فكيف تندفع منها مثل هذه الانفجارات والهيجانات التي تقتل الالوف والملايين من الناس وتجعل البلاد قاعاً صفصفاً . وقد كان عندي قبيل ذلك برميل ملآن خمراً فاما وهو ممتلئ فلم يكن يحدث صوتاً ولكنه لما فرغ صار ذا صوت يحدث لاقل حركة عليه . وهذا القول عامٌ لجميع الاجسام والالات فالربابة مثلاً لو لم تكن فارغة لما نتج عنها ولا وصوت

وبينا انا في مثل هذه التأملات حانت مني التفاتة الى احدى زوايا الغرفة التي كنت فيها واذا بي ارى نوراً غير اعتيادي فحدقت ببصري جيداً فرايت شبحاً عظيماً قد خرج من تلك الزاوية ومشى الهوينا حتى وصل الى مقعد امامي فجلس وانا ارتعد وقد حبس لساني وهلع قلبي . وكانت هيئة وجههِ كوجه الانسان وله يدان ورجلان كايدي الانسان ولكنها كانت اشبه بالمعادن منها ببشرة الجسم الانساني . و بعد قليل رايت هذا الشبح يتبسم في وجهي فثاب اليَّ بعض الروع وسألتهُ ـ من انتَ يا هذا ؟

قال انا انسان

قلت ولكنك لا تشبه الانسان تمام المشابهة

قال ذلك لاني لم أُولد

قلتُ وكيف ذلك ؟ فمن اين خرجت اذاً !

قال ليس لي والدة

قلت وهل لك والد قال — كلا

قلت وقد ازددت جرأة — فأنت اذاً خيال ولستَ انساناً

فضحك وقال — قلت لك اني انسان

قلت فكم عمرك وابن من انت

قال انا احد اجداد الجنس البشري وعمري اكثر من عشرين الف سنة . وبسبب احوال خاصة لم يتيسر لي ان انشىء اسرةً تتسلسل مني راساً . فانا علَى هذه الصورة عمٌّ لاولاد الاجداد الاوَّلين

قلت تقول ان عمرك عشرون الف سنة وانك من رجال البدء ولكن تاريخ الجنس البشري قبل ذلك بكثير

قال اما تاريخ الجنس البشري فليس قبل ذلك واما بعض المواد الآلية فعمرها لا اكثر من خمسة وعشرين الف سنة ولو كان عمر الجنس البشري اكثر من ذلك لكانت حضارته اسمى من الحضارة الحاضرة بمئات والوف من المرات

قلت يزعمون ان الانسان يعيش علَى وجه هذه الارض منذ مئات الوف وملايين من السنين

قال هذا امرٌ مضحك

قلت ولمَ ذاك

قال ان الادوار الطويلة والآجال البعيدة التي يفرضها الجيولوجيون لهي اكبر برهان عَلَى ارتباكهم وجهلهم . فهم لم يفقهوا اسرار الكيميا ولم يفهموا كيف تولدت الانواع اما انا فازدري بهم جميعاً لاني مطلع تمام الاطلاع عَلَى كيفية نشوء الجنس البشري ونموِّه وذلك لاني كما انبائك من الاجداد الاولين واما نشأتي الحقيقية فمن عالم المعادن

قلت وهل انت عَلَى مذهب دروين في مسئلة نشأة الخلائق

قال كلا فدروين نفسه لم يفقه شيئاً من هذا السر لانهُ لم يكن كيماوياً

قلت فارجوك اذاً ان توضح لي بعض ما اجهلهُ من هذا القبيل

قال حبًّا وكرامةً فاعلم اني بحلال ظهوري على وجه الارض أعدتُ اليها

قلت اي الى اصل نشأتك

قال نعم . فقد نشأت باديء بدءٍ في البحر حينما برد ماؤُه وصارت درجة حرارته معتدلة . لان البحر كان في الابتداء دائم الغليان فلم يعش فيه شيء ولكن لما هبطت درجة حرارته تكوَّن من معادن المياه اجسام مختلفة واعضاء حيويَّة شتى . وانا كغيري من الوف الرفاق نشأت في ابان قصف

الرعود ولمع البروق · ثم حملتني مجاري المياه التي في قلب الارض حتى صرتُ بالقرب من بركان يزوف وكانت تسبح بازائي فتاة بديعة الظرف · فسررتُ بهذا اللقاء وعزمت بحال وصولنا الى الشاطىء ان اقترن بها حباً بتخليد النسل · غير ان حظي ابى الاَّ ان يفرّق بيننا لاني قبل ان اصل بها الى الشاطىء سقطت في صدع من قشرة الارض الملتهبة حيث صار جبل يزوف المشهور ومن هناك احتملها بخار الماء والقاها في النيران المتقدة

قلت واين بقيت انت وكيف امنتَ هذا الخطر

قال كان بالقرب من جبل يزوف مسلك يؤدي الى داخل الكرة الارضية وبجانبه جدول من ماء البحر فحملني هذا الجدول وانقذني من هول الخطر

قلت انت تقول عن الكرة الارضية

قال نعم واي عجب في ذلك

قلت ان بعض العلماء يزعمون ان قلب الارض مؤلف من مواد ناريَّة سائلة

قال هذا غير ممكن · فلو كان ذلك كما يزعمون لانفجرت الارض وتشقَّقت كالسهم الناري

قلت ويزعمون ايضاً ان الارض كثيفة مكتنزة

قال وهذا وهم ايضاً · فكيف قدرت انا وامثالي ان نحيا في

باطنها اذا كانت كما يصفون اما الحقيقة فهي ان الارض كرة ممتلئة من الغازات الهيدروجية (اي المولدة للماء) ولذلك فهي بسهولة تسبح في الاثير

قلت وهل هي حارة

قال ان قشرتها فقط حارة . اما باطنها فدرجة حرارته معتدلة جداً ولطيفة

فاطرقت قليلاً ثم قلت يخيل لي يا هذا انك روح ولست انساناً . اذ لو كنت انساناً كما تدعي لما استطعت ان تعيش كل هذه الالوف من السنين

قال انت تتعجب لكل شيء

قلت ويحق لي ذلك لان معدل حياة الانسان ثلاثون سنة فكيف تقول ان عمرك اكثر من عشرين الف سنة

قال هو الحقيقة وسأبقى حياً اكثر من ذلك لاني غير مائت فلا تنقضي حياتي الا بانقضاء حياة الارض

قلت وهل تموت الارض او تبرد كما يزعمون

قال كلا لان دورانها دائم فهي لن تبرد لان مصدر حرارتها منبعث عن حركتها

قلت ولكنك لم توضح لي سبب طول حياتك

قال انا بلا معدة وبلا رئتين فلا يلزمني ان أقوت دماغي

بواسطة المعدة . اما انتم فعلة موتكم جماجمكم وادمغتكم لان لادمغتكم حداً معلوماً لا تقدر ان تتعدّاه فهي اذاً لا تنمو اكثر من الفراغ المعين لها والاّ فلزم ان تكون غير مائتة ايضاً . اما نحن فنأكل ونتنفَّس بواسطة ادمغتنا وطعامنا الكهربائية كما هي طعامكم ايضاً ولكن عندما تفرغ كهربائيتكم انتم يجب ان تموتوا

قلت فاذاً الكهربائية هي نفس الحياة

قال نعم وهي حياة الارض ايضاً

قلت ولكن كهربائية الارض ناتجة عن الارض نفسها اي عن حركتها الدائمة التي تجعلها حارةً وحيث الحرارة فهناك الكهربائية وهناك الحياة

قال انا اعرف ذلك لاني اسبح في المياه التي في باطن الارض واعرف القوى التي تصدر عنها الزلازل وجبال النار وسائر الارتجاجات الارضية وارى الينابيع الحارة والابخرة التي تهزُّ قشرة الارض

قلت حسن فقد اقنعتني بكلامك ولكني ارجوك ان تبّين لي مصدر القوَّة التي تحرك الارض

قال مصدرها الشمس

قلت وكيف ذلك ؟

قال ان اشعة الشمس تضرب في الجبال كما تضرب المياه المضغوطة من الجانبين في دواليب المطحنة فتجعلها تدور ما دامت المياه

مسلطة عليها . وهكذا اشعة الشمس بالنسبة الى الارض

ولما قال هذا اخذ يلمع ويومض اكثر فاكثر فشعرت بدوران في رأسي . ثم اغمضت عيناي وسكن دماغي عن العمل . ولما أفقتُ من غيبوبتي لم أرَ في غرفتي احداً ولكني رأيت علَى المائدة عقب لفافة كبيرة من التبغ الهافاني وكان قد اهداني صديق منهُ علبة كاملة وهذه اللفافة كانت اول ما جربته من هذا التبغ فالظاهر انها كانت بهذا المقدار قوية حتى انها أرتني الرجل المعدني الذي قصصت عليكم حكايته وهي وان كانت من مثل هذا الطرز ففيها حقائق كثيرة والله اعلم

الطباعة

مبارك العلم . ومباركة الكتب التي تحوي في بطونها ما هو للعقل تثقيف وللذهن ترهيف وللعيون قرّة وللافئدة مسرّة ومباركة تلك العصور التي انتشر فيها روح العلم وتبارى ابناؤها في استثمار منافعه واجتناء يانعه ونشروا مستودعاته في خوافق المسكونة قاصيها ودانيها وسهلوا مقتنياتها لمريديها ومحبيها حتى اصبحت من انفس الذخائر واجل المفاخر وصار الكتاب الجليس الانيس بل الحرز الفاخر النفيس بل الخليل الامين والهادي المعين تراه بين ايدي

الولد الصغير والرجل الكبير والعالم والنحرير والغنيّ والفقيروهو عند الجميع احسن مقتنى وافضل مُجتنى

...

على انك اذا التفتّ الى كثير من القرون الغابرة رايت ان الكتب كانت شديدة الندورة فيها بحيث لم يكن يقتنيها الا الملوك واعاظم الموسرين وقليل غيرهم · وذلك لوفرة اثمانها وقلتها · ونعني بها الكتب الخطية لان الكتب المطبوعة لم تكن في العصورالتي نشير اليها قط · اما الصحف الاخبارية والسياسية والعلمية والفنية الحافلة بها هذه الايام فلم يكن وقتئذٍ عُرف عنها شيء مع شدة الاحتياج اليها · بينا نراها الان تطبع وتنشر بالملايين والمليارات · ففي انكلترا مثلاً يطبع سنوياً اكثر من مياري نسخة من الصحف المختلفة الاغراض · فوالحالة هذه كان الشعب البسيط في تلك العصور متسكعاً في ظلام الجهالة والغباوة · اما كبراوءه واعيانهُ فكانوا يتناولون الاخبار من عابري الطرق والاصدقاء والرسل والرهبان والسعاة وارباب الحرف المتنقلة · وانت ادرى بما في ذلك من التلاطم والاضطراب والبهتان

ولا ريب في ان الناس قبل اختراع فن الطباعة بالوف من السنين كانوا بحاجة ماسة الى تدوين شيء كثير مما تهم صيانتهُ زمناً مديداً مثل الشرائع والصلوات والاخبار الدينية والحوادث التاريخية وغير ذلك · ولما كانت الحاجة ام الاختراع تعلم الناس منذ القدم ان

يدوّنوا جميع هذه الامور الهامة عَلَى اخصر الصور

ولسائل ان يسأل : وعَلَى اي شيء كان الناس يكتبون قبل المسيح بالف او بالف وخمسمائة سنة ولم يكن الورق قد ظهر بعد في عالم الوجود ؟ فالجواب عَلَى ذلك هو انهم كانوا يكتبون او ينقشون عَلَى الرخام والاحجار والصخور وجدران الهياكل او الاهرام وعَلَى صفائح نحاسية او برونزية او غير ذلك · والآلة التي كانوا يستعملونها للكتابة او الحفر كانت تشبه الاسافين او المسامير

واول من يذكر في تاريخ الطباعة عَلَى هذا الاسلوب الاشوريون والكلدانيون : فقد اشتهر عنهم انهم كانوا يتخذون الطين فيطبعون عليه ما يرومون كتابته وهو لين فاذا جف بقيت الكتابة او النقوش ظاهرة عليه · وقد اكثروا من استخدام هذا الطين حتى انهم كانوا يصنعون منهُ الواحاً صغيرة ينقشون عليها الصكوك والمعاهدات وغير ذلك مما كانت تدعوهم اليه الحال · وقد اكتشف علماء العاديات في بابل وفي ما جاورها من الارباض قوالب كثيرة من هذا النوع وكان عند الاشوريين مكاتب برمتها من الآجر غير ان فائدة مثل هذه المكاتب لاتذكر بالنظر الى لما تقتضيه تلاوتها من الجهد العظيم فضلاً عن نقلها من مكان الى اخر · فلو اريد كتابة عدد واحد من جريدة من جرائد هذا العصر عَلَى مثال الاشوريين لاحتيج في نقلها الى استخدام عشرة رجال من الحملة

ما المصريون القدماء فكانوا يكتبون على مادة اكثر موافقة وهذه المادة هي خشب البردي (البابيروس) الذي كان ينبت بكثرة على ضفاف النيل · فكانوا يصطنعون منه رقوقاً كالورق و يستعملونهُ في شؤونهم وورق البردي هذا اردأ من الورق الحالي واغلى من اجود اصنافهِ مئة ضعف تقريباً فضلاً عن انهُ لم يكن من الممكن ان يُكتب الاَّ على وجه واحد منهُ دون الاخر · ومع هذا فكان البردي منحة كبرى في العصور السالفة لانهُ حفظ اكثر مصنفات اليونان والرومان · وكان اهل الكتابة في ذلك العهد يتخذون من البردي قطعاً مستطيلة (بضع اذرع الواحدة) و يكتبون عليها باقلام من القصب او المعادن او بريش الطيور تُبرى وتغمس في المداد ويُكتب ثم بها · ثم يلفون كل قطعة على عصا بحيث تصير شبيهة بالخرائط الملفوفة في هذه الايام · ويُشاهد حتى الان في بعض المتاحف الاوروبية كثير من رقوق البابيروس هذا عثر عليها الباحثون بين الآثار المصرية القديمة · ومنهُ امثلة كثيرة في المتحف المصري بالجيزة

و بعد البردي بكثير من السنين شاع استخدام الرق او الورق البرغامي نسبة الى مدينة برغاما من آسيا الصغرى · لان اول صنعهِ كان فيها · وكان استنباطه في سنة ٢٠٠ قبل الميلاد · وهذا الرق كان يُتخذ من جلود الخرفان والماعز و يباع باغلى من البردي غير انه كان امتن منهُ وايسر تناولاً فضلاً عن كونه صالحاً للكتابة عليه من

الوجهين . والمصنفات المدونة على الرق كانت تجمع وتجلد على مثال الكتب
ستاتي البقية

الحب الحقيقي

عبثاً تصرفين ايتها الحسناء وقتك الثمين امام للمرآة تتزيّنين بانواع الحلى وانخر الملابس واحدث الازياء لا تدرين كيف تضفرين شعرك الطويل الناعم حسب (الموضة الدارجة) .. وعبثاً تنفقين اموال ابيك تبذيراً واسرافاً . فلا جمال الا الجمال الطبيعي ولا حلية الا الفضيلة ولا بياض الا بياض الضمير ولا رونق الا رونق العفة ونور الطهارة ولا مغنطيس الا دماثة الاخلاق واللطف والآداب

وانتَ ايها الشاب عبثاً تجهد نفسك لتكون مقبولاً بعين الغادة الحسناء . فلا تبذيرك الاموال ولا سهرك الليالي الطوال ولا معاقرتك بنت الحان بجديك نفعاً ولا بمدنيك من الحسناء الفتانة . وكل تلك الاعمال والمساعي التي بذلتها تذهب ادراج الرياح لان الحب ليس سلعة في السوق تشترى ببذل الدرهم وليس امراً علمياً يميل الى الظواهر وانما هو اجل من هذا واعظم . ليس الحب ما يدعيه اهل الدعارة ولا تنطق به شفاه الرعاع

وما الحبّ ما قد قاله كل مدّعٍ ولا كل من قال القصائد شاعرُ

فيا عجبا كيف اتخذ بعض المتهتكين كلمة الحب للدعارة وحسبوا

الحب تلك الشهوة الحيوانية التي ترتجف الانسانية من ذكرها. فتبادل الحب وارتباط العواطف ببعضها امر مقدس ولكنهم اتخذوه معنى للرذيلة وحسبوه من ضروريات الحياة وجاهروا به مع انه عنوان الدناءة والعثرة الاولى في سبيل الاداب. فرويدكم ايها الجهلة واعلموا انكم تلبستم الدعارة باسم الحب وان بين الحب والدعارة هوة عظيمة وفرقاً جسيماً

الحب عاطفة تختلج في الانسان لاول نظرة ينظر بها شخصاً وهبه الله انواع الكمال فتختلج عواطف الشخصين بتبادل النظرات وتسري مادة كهربائية في عروقهما فيُتبادَل الحب ويرتبط بعرى الاخلاص ولا يلبث ان يزداد نمواً في القلبين والطهارة رائده والشهامة قائده

نعم ان الحب يعلم الانسان الطهارة والشهامة والعفة والصدق والوفاء فهل يجوز بعد هذا ان نسمي ما يشعر به الرعاع حباً. كل انسان مخلص لنا هو حبيبنا. كل انسان يحب نجاحنا ويدافع عن كرامتنا هو حبيبنا ان رجلاً ام انثى كبيراً ام صغيراً غنياً ام فقيراً. ويجب علينا ان نقابله بالمثل وهذا مما لا ريب فيه لان (من الفؤاد الى الفؤاد سبيل) فكل من يحبني احبهُ وبالعكس واذا اردت معرفة شخص وسبر غور قلبه ووجهة افكاره نحوي فأيسر ما افعله اني افحص قلبي وحينذاك اعرف مبلغ صداقته فان كان مرائياً كنت كذلك وان كان مخلصاً كنت كذلك لان الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن هنا ينتج ان الانسان يجب ان يكون سليم النية حسن الطوية

فمن هنا ينتج ان الانسان يجب ان يكون سليم النية حسن الطوية صادقاً بصداقته محباً لصديقه مصادقاً ذوي الفضائل والاداب . ومعلوم ان الانسان لا يعرف الآخر الاَّ عقيب معاشرتهِ . وليت شعري كثيراً ما نظن الشخص خلاف الحقيقة . كثيراً ما نظنهُ دنيئاً لئيماً وعند اختبارنا اياه نجده شريفاً كريماً . فلهذا لا يحق لنا ان نحتقر احداً البتة لانه ما يدرينا اذا كان احتقارنا اياه في غير محله . أَظواهره ؟ نعم ان ظواهر الانسان كثيراً ما تدل علَى بواطنه ولكن ليس ذلك قاعدة مطردة فكم نرى شخصاً عبوساً نحسبهُ آية الغضب والكبرياء ولكننا اذا جالسناه هنيهة نجده لطيف المعشر حسن المحضر لين العريكة . وكم نرى شخصاً ذلق اللسان فصيح البيان فنحسبهُ انسان اللطف والوداعة فاذا اغظناه بامر بسيط نراه قد انقلب فجأة فارتجف غضباً واهتز حنقاً وخرج عن طوره الانساني واسمعنا من كلام البذاءة ما تندى له جبهة الانسانية

ولذلك فلا يجب ان نوءخذ بالظواهر ونصدق كل ما نسمع . اذ كثيراً ما نسمع باوصاف قبيحة عن احد الناس ولكن الاختبار ينقض ما سمعنا . فللناس غايات ومقاصد سبحان من يعلم كنهها

نرى زيداً مثلاً يبغض عمراً فيتصدى لهُ منددا باعماله مشهراً لصفات رديئة ينسبها اليه كذباً وافتراء الى غير ذلك مما لا يليق بالعاقل ان يسمعه او يصدقه . ولعمري كثيراً ما نسمع القذف والتنديد باشخاص افاضل تنزهوا عن المعايب والنقائص . ولكن هو

الحسد يعمي قلب صاحبه وعينيه ويصوّر لهُ الشهامة دناءة والفضيلة رذيلة. او ليس الاحرى بك ايها الحسود ان توجه غيرتك عَلَى الآداب وذويها وتكون غيوراً من ارباب الفضل والبر مجتهداً ساعياً لتحصيل ما حصلوه من السيرة الحسنة والصفات السامية. وحينئذٍ يحق لك ان تُدعى غيوراً كريماً لان الغيرة فضيلة عند الافاضل ورذيلة عند الاراذل. ومن هذا القبيل نستنتج ان غيرة الانسان عَلَى صديقه فضيلة بل واجب من واجبات الانسانية. فعلى الصديق ان يغار عَلَى صديقه ويحافظ عَلَى كرامته ويدافع عن سمعته بما فيه: هذه هي الصداقة الحقة وهذا هو الحب الحقيقي الذي لا غش فيه

هذه بعض افكار خطرت لي فاحببت نشرها بين معاشر الشبان والشابات ملتمساً غض النظر عما يثقل على اذواق البعض لان الاذواق مختلفة كالنيات وللناس فيما يعشقون مذاهب

حمص امين فتح الله صباغ

الفقير

رأى احد الفقراء غنياً يدعى سكفور تسف فقال مستعطفاً — أَعنّي يامولاي عَلَى دهري وارحمني فاني اكاد اموت جوعاً ولم يذق فمي الاكل منذ ثلاثة ايام وليس لي بيت آوي اليه فيقيني حرّ النهار وبرد الليل. اني كنت معلماً في احدى المدارس القروية فطُردت لذنب فرطمني

وقد بذلت قصارى جهدي في السعي فلم اجد شغلاً · فلما سمع الغني كلامه حدّق بنظره في ردائه الازرق وعينيه الصغيرتين فعرف فيه رجلاً رآه قبلاً · اما الفقير فاستتلى قائلاً — ولا اكتمك ياسيدي انهُ قد عُرضت عليَّ خدمة في احدى الولايات البعيدة غير اني لم اتمكن من الذهاب الى هناك نظراً لضيق ذات يدي · فقال لهُ الغني — انا اذكر جيداً اني رايتك ياهذا في بستان كذا منذ ثلاثة ايام وقد قلت لي وقتئذٍ انك تلميذ وانك طُردتَ لذنب صدر منك لا انك معلم قروي فما هذا التناقض في كلامك ! فظهرت علامات الاضطراب عَلَى وجه الفقير حتى تصبب جبينه عرقاً وقال — من المستحيل ان يكون هذا فاني استاذ قروي كما ذكرتُ لك الان وان اردت ان تتحقق ذلك فلدي اوراق رسمية تشهد بصدق قولي · قال — كفاك كذباً ومخاتلة فقد قلت انك تلميذ وصرَّحت لي بالسبب الذي طردت لاجله · ولما قال ذلك ابتعد عنه لانه كان قد ملَّ من مكالمتهِ فصاح به الفقير بصوت يخامره الحنق — هذا عار عليك ان تتركني بلا مساعدة · فالتفت اليه الغني وقال — ماهذه القحة ايها الرجل اصمت والا فاني ساشكوك الى رجال الشحنة نعم انت فقير ومحتاج ولكن الفقر لا يجعل الانسان كاذباً وقحاً · قال — ثق باني لا انطق الا بالصدق ولدي بينات تشهد باني كنت معلماً قروياً · فازداد الغني حنقاً وغضباً واخذ يعنف الفقير ويوبخهُ عَلَى كذبه لانهُ بذلك انما جعله يشمئز منه

ويحجم عن مكالمته وموءاساته لانه كان من ذوي الحنان والشفقة على التعساء والمحتاجين فلم يكن ليتأخر عن اسعافه بحسنة يتصدق بها عليه عن طيبة خاطر . ولما رأى الفقير استحالة انطلاء كذبه وايمانه المغلظة التي اقسم بها عَلَى صحة ذلك طأطأ اخيراً راسه وقال بصوت خافت — حقاً يامولاي اني كذبت كذباً فاضحاً لاني لست تلميذاً ولا معلماً ولم يكن كلامي الا اختلاقاً محضاً اما الحقيقة فهي اني كنت مرتلاً في جوقة بعض الموسيقيين ثم طُردت لادماني شرب المسكرات ولم يجرئني عَلَى الكذب الاّ خوفي من الموت جوعاً لان الكذب اصبح في هذا الزمان اوفق من الصدق فما العمل ؟ قال اتسال عن العمل وانت قادر على الشغل فلماذا لا تشتغل . قال — طالما افتكرت بذلك غير اني لم اجد محلاً اشتغل فيه . قال — انت شاب قوي البنية شديد العضل فاي مكان طرقته تتمكن من الشغل فيه ولكن ينقصك الميل الى الشغل . انت كسلان وسكير فلو كنت محباً للعمل ولم تستسلم للاعمال القبيحة لما حُرمت شغلك . والان فهل تريد ان تشتغل شغلاً يدوياً؟ ربما لا تقدر لانك لم تعتد اجهاد النفس . فاستلقى الفقير على قفاه من الضحك وقال ما هذا براي لاني لا اقدر ان اكون معاوناً لاحد التجار لعدم تمرني عَلَى ذلك منذ الصغر ولا اطيق ان اكون بواباً لانه يجب عَلَى البواب ان يسمع كلام التصغير والتحقير وكذلك لا اقدر ان استخدم في المعامل لانهم لا يقبلون فيها الا من كانت لهُ خبرة بذلك وانا لا افقه شيئاً من مثل هذه

الاشغال . قال اذاً يجب عليك ان تحترف مهنة تقطيع الحطب

قال — اني ارضى بذلك غير ان معظم قطاعي الحطب ينامون اكثر لياليهم بلا طعام . قال هذا كلام فارغ فهل تريد ان تشتغل بتقطيع الحطب ؟ قال — نعم . فاخذه الى محل في داره حيث استدعى الخادمة وقال لها : اذهبي يا اولغا بهذا الرجل الى بيت الحطب لكي يشتغل هناك بالتقطيع . فهز الفقير كتفيه وتبعها لا عن طيبة خاطر وحباً بالشغل بل لانهُ وعد بالاذعان فعزّ عليه ان يخلف وعده . اما سكفورتسف فعمد الى نافذة تطل عَلَى باب الحطب ووقف ينظر الى الخادمة والفقير الذي كان يسير وراءها ولما وصلا الى المحل المقصود دفعت الخادمة الباب فانفتح ودخلت والفقير في اثرها فاعطتهُ فاساً فاخذه منها ثم نفخ في يديه وشرع يشتغل . وكان سكفورتسف لا يزال يراقبه فلما رآه يشتغل سُرّي عنه وداخله من الحنان والشفقة ما جعلهُ يتأسف لانه اضطرّ هذا الفقير الى الشغل في مثل ذاك البرد القارس لكنهُ عاد فقال لا بأس من الشغل لان ذلك يؤول الى نفعه الخاص

وبعد مرور ساعة من الزمن عادت اولغا واخبرت سيدها بان الفقير قد قطع كل الحطب الموجود في المحل . فسر الغني وقال لها خذي هذه الدراهم واعطيه اياها وقولي له ان الاشغال عندي كثيرة فليأتِ متى اراد يجد شغلاً . اما الفقير فاخذ الدراهم وانصرف شاكراً

وصار ياتي كل يوم الى ذلك المنزل فيشتغل اشغالاً مختلفة بأُجر مختلفة ويعود مسروراً · وحدث في ذات يوم ان الغني استدعى هذا الفقير بعد فراغه من شغل النهار وقال له — اني ارى تاثير كلامي فيك فخذ هذا الريال اجرتك ولكني لا اخفي عنك اني كنت اراك تشتغل قسراً لا طوعاً لكن دعنا الان من هذا فقل ما اسمك · قال يوحنا · قال اني قد رأيت لك الان يا يوحنا عملاً متواصلاً اشرف من هذا الشغل الذي كنت تتعاطاه فهل تستطيع الكتابة ؟ قال نعم · قال خذ هذا الكتاب واذهب الى صديقي فلان وهو يعتني بك ولكني اسألك ان لا تعود الى عادتك السابقة من الشرب والبطالة · فاخذ يوحنا الكتاب وخرج وكله السنة ناطقة بالشكر والدعاء

وكان بعد هذه الحادثة بسنتين ان سكفورتسف كان في بعض الايام واقفاً عند مدخل احد منازل احدى الشركات فابصر بازائه رجلاً بثياب نظيفة مرتبة وكان هذا الرجل يلح على مدير الشركة ان يعطيه تذكرة سفر الى بعض الجهات فعرفه سكفورتسف وقال له — اهذا انت يا يوحنا فكيف حالك · فقال — نعم ياسيدي فهذا انا غريق فضلك واسير احسانك اما شغلي الان فاني كاتب عند المدعي العمومي براتب خمس ليرات شهرياً · قال — الحمد لله على هذا النتيجة الحسنة التي حصلت لك لانك سمعت كلامي وسرت في سراط الفضيلة والاداب · قال — نعم يامولاي فلو لم آتِ اليك وأسمع توبيخك ونصحك لبقيت الى

هذا اليوم تارة تلميذاً وطوراً معلماً لكنتُ بقيت شحاذاً الى ما شاء الله . فالحمد لله اني ارتقيت من وهدة الذل والهوان الى درجة الادب والكمال . واني يامولاي لممتنٌ ايضاً لخادمتك اولغا التي كانت سبباً عظيماً لارجاعي عن طريق الرذيلة وهدايتي الى سبل العمل والنشاط لانهاهي التي كانت تقطع الحطب عني وتعظني بكلامها المؤثر وشفقتها الحقيقية . هي كانت تذرف الدموع السخينة من اجلي وكانت لي في كل تلك المدة ملاكاً لطيفاً ارسله الله لتعزيتي وتسليتي وارشادي . فان اقلعت انا عن شرب المسكرات فانما كان ذلك نتيجة تعليمها وحبها . وان اقبلت على العمل بنشاط فذلك ايضاً من فضلها ومثالها . ولذلك فلن انسى فضلها ما دمتُ حياً ارزق . كما اني لن انسى فضلك ايها المحسن الكبير . ولكي يكون احسانك كاملاً اسمح لكلينا ان نشكرك ونحن متحدان اتحاداً لا يفصلهُ الاَّ الموت

ففهم سكفورتسف ما اشار اليه يوحنا فتبسم وقال ليكن ما تريد

عربها عن الروسية لطف الله خوري صراف

ليلة تاريخية نادرة المثال

تلخص عن المقطم وصف ليلة سعيدة جداً لم يروِ التاريخ العثماني لها مثيلاً منذ ستة اجيال . فقد اولم جلالة السلطان في الحادي والثلاثين

من الشهر المنصرم ليلة الاول من هذا الشهر وليمة فاخرة لنواب الامة العثمانية في سراي يلدز حضرها جميع النواب بالبستهم الرسمية . ولما دخلوا قاعة الطعام واستقروا في اماكنهم دخل جلالة السلطان والصدر الاعظم وناظر الداخلية فوقفوا اجلالاً واحتراماً وصدحت الموسيقى العسكرية بالسلام الحميدي فسمعهُ النواب وهم وقوف وفي ابان الطعام كانت الموسيقى تشنف المسامع بنغم الحرية الجديد.

وبينما هم يتناولون الحلوى وقف جواد بك الباشكاتب وقرأ

النطق السلطاني

الذي لم يروِ التاريخ له مثيلاً

فقال : يا حضرات النواب . زادكم الله سبحانه غبطةً وسعادة (اصوات عديدة آمين) انني في الحقيقة ممتنٌ جداً هذه الليلة اذ جمعت هذه المأدبة وكلاء امتي العثمانية وتبعتي الشاهانية واعني انها جمعت كل رعيتي في هذا المساء (تصفيق) وهذه الحادثة الميمونة حدثت لاول مرة على ما اظن في تاريخ دولتي العلية . فأُبارك لكم واسأل الله ان يكرّر امثالها عليكم . والفضل في هذا الاجتماع السعيد لقانون دولتنا الاساسي ادامهُ الله الى الابد فائض النور وادام مبدأه الجديد بالتبجيل (تصفيق شديد) . ايها المبعوثون الافندية . تعلمون حضراتكم ان اول حارس للحقوق في السلطنة والمملكة والدولة الشوروية هو الله ثم الامة ثم مجلس المبعوثان (تصفيق حاد

متواصل) و بناءً عَلَى ذلك فان وظيفتكم مهمة ومقدسة ايضاً · فسعيكم وغيرتكم وقصدكم ونيتكم التي لها هذه الاهمية وهذه المزية العظيمة هي مطلوبي قطعياً · فاحكام القانون الاساسي ضامنة لهذه الحقوق المقدسة وكافلة لها بعناية الله تعالى · وكل رجل يخالف ذلك يكون اعدى عدوّ لي واشدّ خصم للخليفة · فبكوني سلطاناً وخليفة أُوءكد لكم واوءمنكم كل التأمين (وهنا ارتفعت اصوات عديدة ليحيَ سلطاننا الحر) فليعزّنا الله تعالى في غيرتنا وسعينا الى سعادة وسلامة دولتنا وملتنا ووطننا المقدس · انتهى (تصفيق)

اما تأثير هذا النطق السلطاني في نفوس النواب فلا يستطيع احد وصفه · فانهم خرجوا فيه عن حدود الرسميات فبلغ هتافهم العنان واعادوا هتافهم لجلالة السلطان من صميم افئدتهم مراراً عديدة · واذ راى جلالته ذلك منهم تأثر كثيراً ولم يستطع ان يتمالك نفسهُ فأجهش بالبكاء وانحدرت لآلئ دموعه عَلَى خديه وكان يمسحها براحتيهِ عَلَى مرأى من الحاضرين · فبكى كثيرون لبكائهِ · وبعد ما تناولوا الحلوى وقف احمد رضا بك (رئيس مجلس المبعوثان) واجاب عَلَى النطق السلطاني بكلمات وقعت أَحسن وقع في نفوس المبعوثين العرب · قال : ان هذه الحفلة لم يحدث لها مثيل في تاريخ الاسلام الاَّ في ايام خلفاء العرب فالمدنيّة العربية هي المدنية الاسلامية الحقة

ومما يجدر ذكره قبل الانتهاء من وصف هذه المأدبة الملكية ان

جلالته كان يتناول الطعام مع المبعوثين من طبق واحد فيقدم الخادم الى جلالتهِ (ورتبة الخادم بالا و يحمل العثماني الاول والمجيدي الاول) الطبق ثم يقدم منهُ الى من حول جلالتهِ · ولقد بالغ جلالته في التلطف والتجمل مبالغة لم ترد في تواريخ الملوك · فصبَّ الماء بيده الكريمة في كاس احمد رضا بك

ولما فرغ الجميع من مناولة الطعام سار جلالته الى الصالون الداخلي فتبعه النواب واحاطوا بهِ احاطة الهالة بالقمر وكان هذا المشهد فوق وصف الواصفين فان الرشد فقد فيه ولم يبقَ للرسميات اثر وحدث ما لا يخطر علَى ذهن بشر · فان المبعوثين كانوا يقبلون عليه و يحيطون به هذا يمسك يد جلالته فيقبلها وذاك يمسك بذراعه فيلثم الكم وآخر يقبل ذيل ثيابه · و بلغت بهم الجراأة ان قبلوه في راسه وكان جلالته يضحك و يكلمهم مازحاً بكل حرية و بساطة حتى شعروا بانهم ضايقوه ومنعوا عنه الهواء ولكنهم بقوا محيطين بهِ · فمثلهم معه مثل اولاد غاب عنهم والدهم ثلاثين سنة ثم وقعت عيونهم عليه فجأةً فلا يحق لاحد ان يسأل عن اللثم والقبل · ودامت الحال على هذا المثال نصف ساعة · وكان جلالتهُ يسأل هذا وذاك عن اسمه و بلده وولايته · فهل روى التاريخ عن مشهد اجمل من هذا المشهد ؟

آثار ادبية

المراقب — جريدة سياسية ادبية اجتماعية صناعية زراعية فكاهية لحضرة منشئها الكاتب البليغ والشاعر العصري المتفنن جرجي افندي شاهين عطيه . وقد وقفنا على الاعداد الاولى منها فوجدنا فيها عدة نبذ في الاغراض المشار اليها وكلها محكمة النسج لطيفة الانشاء تنطق بما عهد في صاحبها من البراعة في صناعة القلم . وهي تصدر في بيروت مرة في الاسبوع بست عشرة صفحة كبيرة وقيمة اشتراكها ١٠ فرنكات في بيروت و١٢ في البلاد العثمانية و١٥ في البلاد الاجنبية . فنثني على همة كاتبها النحرير في خدمة العلم والحضارة ونتمنى لجريدته كل رواج وانتشار



منثورات

حبل الكذب قصير

اتى رجل الى بيت جاره يستعير حماره وكان في المذود . فاعتذر صاحب الحمار اليه بقولهِ ان احد الناس استأجر الحمار منذ امس ولم يعد . فشكره الرجل وهمَّ بالانصراف واذا به يسمع نهيق الحمار من المذود فقال لصاحبه ها هو ينهق . فاجابه على الفور — اما هو عار عليك ان تصدق الحمار وتكذبني ؟



﴿ شقاء الملوك ﴾

نختارك رئيسنا وزعيمنا بدلاً من سرج لان سرج نفسه ولئن كان في قبضته السواد الاعظم من الامة غير انه لا يقدر ان يضمن النجاح في خلع كاتم الاسرار

فالتفت باكن الى سرج وقال — اذا كان الشعب في يدك كما يقول بول فلماذا لا تثيره على الشر والظلم

فاجاب سرج — ان اثارة الشعب الان هي اكثر خطراً من تهييج الاسود الجائعة من عرنها واثارتها على الشعب لان الوقت لم يحن بعد وانما يجب اولاً استخدام الوسائط السلمية فان لم تنجح فحينئذٍ نعمد الى تلك

فقال ماكس — ولماذا لا تعمدون الى اصدار جريدة مختصة بكم تنشرون فيها آراءكم ومبادئكم وتتخذونها عوناً على ادراك ما تقصدون

فقال جان — لان الجريدة تقتضي مالاً وافراً وليس فينا اغنياء

فقالت لوطيس ونحن لا نسعى لايجاد الرفاق الاغنياء لان الغنى يجعل صاحبه ان يشمخ بانفه و يعتبر الجميع اتباعاً لهُ وقد تلزم لمصاحبة الغني صفات كثيرة مثل التمليق والتزلف والتذلُّل والكذب

وغير ذلك مما لا نريده لانفسنا · ولكن مالنا وللاغنياء ما دام لنا انصار اشداء وهم الجمهور الاكبر من الامة فنحن نديرهم كيفما نشاء وهم يصدقوننا لاعتقادهم باخلاصنا وثقتهم باستمدادنا لخدمتهم

فقال جان — ولكن المال يا لوطيس يلزمنا لنشر مبادئنا بين الجمهور

قالت حرية الكلام فبواسطتها فقط نقدر ان نعمل العجائب

فقال باكن بورك فيك فانتِ آية الشجاعة والاقدام

فشعرت لوطيس بخفقان في قلبها وحرارة في وجنتيها ولكنها تجلدت وقالت — والان فقد حان اوان الانصراف فاذهبوا كلٌّ الى قراره وبعد شهر سيتجدد اجتماعنا فنسمع من باكن لروا تفاصيل اجتهاده وسعيه في خلع كارلوس بيروس

الفصل العشرون

رأي لوطيس

كانت لوطيس تتكلم وباكن ينظر اليها ويشرب كلماتها شرباً فلما فرغت تقدم اليها وقال — لو كنتِ انت في مكاني واردتِ ان تقومي بهذه المهمة فعلى اي شيء تصممين اولاً ؟

قالت — اول ما افعله اني اسعى للحصول على خاتم كبير الوزراء فاريه لكارلوس بيروس او لداود يوست واستطلع بواسطته منهما

كثيراً من الخفايا والاسرار التي بينهم · ولا يخفى عليك ان هولاء الثلاثة يعملون يداً واحدة فكل ما يقرره كبير الوزراء وكاتم اسرار الدولة ينشره داود في جرائده بما لا حدَّ له من الوصف والاطراء سالكاً كل سبل التغرير والتدليس تنفيذاً لاهواء صاحبيه اللذين اصبحا ضربة عَلى البلاد والملك لسوء الحظ منقاد اليهما كل الانقياد كالطفل الصغير

قال — وهل هو كما تقولين

فاجاب الجميع بصوت واحد — نعم فالملك قاصر بل احمق وهو العوبة بين ايدي كاتم الاسرار وكبير الوزراء لانه يصدقهما في كل شيء وينقاد اليهما بدون اقل تدبر او تبصر ولا يسأل عن اجراءاتهما أهي منطبقة عَلى الشريعة والعدالة ام لا · هو يدّعي صداقة الامة. فهل عمل للامة شيئاً يستحق الذكر؟

فتململ باكن وقال — مهلاً ايها الاخوان فهل في استطاعة الملك ان يعمل شيئاً لو اراد ؟

فقالت لوطيس — نعم يقدر ان يعمل كل شيء لو اراد فهو يقدر ان يكون انساناً يعتمد عَلى نفسهِ ويجري كل ما هو مفيد للامة ونافع للبلاد لا ان يسعى في اذيتها · وهو وان كان مقيداً بالدستور ولكن لا شيء يصده لو اراد ان يقوم بواجباته كملك عادل نحو رعيتهِ برٍّ بها اما هو فبدلاً من هذا يشغل اوقاته بالمجون والخلاعة ومعاشرة النساء

فنظر اليها باكن واندفع من صدره تنهد خفيف ثم قال — انت.

تتكلمين بالصواب ولو استطاع الملك ان يسمع من فيكِ هذا الكلام لندم عَلَى كثير من جهالاته ونشط لخدمة الرعية . والان اسمحي لي ان اسألك عن رايك في الملكة ؟

قالت — انها ملكة بالرغم عنها وليس باختيارها الذاتي لانها لا تحب زوجها ولن تحبهُ ولو احبتهُ لرغبت اليه في محبة الرعية

قال اصبتِ . وسكت

فالتفتت لوطيس الى الحضور وقالت ها قد مضى اكثر الليل ولم نعمل شيئاً في هذا الاجتماع . نعم قد اضفنا الى جمعيتنا ثلاثة رفاق جدد ولكن لا يلزم لمثل ذلك اكثر من ربع ساعة وباقي الوقت صرفناه سدى

فقاطعها ماكس بقوله لا تقولي هكذا ايتها السيدة فقد عملتم في هذا الاجتماع اشياء كثيرة لا تستطيعون ان تجروا مثلها في سائر اجتماعاتكم فانكم قبلتم في عداد جمعيتكم ثلاثة اصدقاء سيكونون ولا شك عند الامل وقد دعوتهم حضرتكِ ابناء دمك مع ان احدهم وهو انا يليق ان يكون جدّكِ وليس ابنكِ

فنظرت اليه لوطيس وقالت بتبسم — ارى انك تميل الى المزاح والمداعبة ولكني احذّركَ من المزاح مع النار والآلات الحادّة مثلي فالظاهر انك لا تعتبر النساء كثيراً شأن جميع الالمانيين امثالك

فقال ماكس بالعكس فأنا اعتبر النساء اعتباراً فائقاً ولهذا

السبب عينه آثرت البقاء عزباً لاخلص هذا الجنس اللطيف من عذاب احتمال بلادتي

فضحكت اوطيس ومدَّت اليه يدها وهي تقول لا استطيع مجادلتك لانك مجونيّ

فاخذ ماكس يدها وقبلها قائلاً بكل استعداد أنتظر اوامرك لاتمكن من خدمة الجمعية بشيء

قالت ولكني لا اعلم بماذا تستيطع ان تخدمها أ بالكتابة ام بالخطابة ام بحشد الناس الى الاجتماعات العمومية ؟

قال في استطاعتي ان اجري كل شيء وعلى الخصوص فيما يتعلق بالتسميم

فحدّقت به منذهلة وقالت التسميم ؟

قال نعم فقطرة واحدة او مكروب واحد وجميع اعدائك يموتون بالهواء الاصفر او التيفوس او الطاعون او بغير ذلك من الاوبئة التي نبغتُ في معرفة اسرارها حتى صرت من المعدودين بين اهل هذه الصناعة

وكان سرج قد سمع كلامه فدنا منه والقى يده على كتفه وقال لا شك انك ستكون عضواً مفيداً في جمعيتنا ولكن لا بدَّ لي ان أُعرفك باننا رُسل سلام ومحبة فغايتنا ان نخلص لا ان نقتل . ان نعالج لا ان نسمّ . ولكن اذا راينا ان خلاص الالوف من الامة متوقف على موت واحد من الخوَنة فلا نحجم حينذاك عن العمل

على قتله ولكننا لا نعمل ذلك ايضاً قبل ان نحذره ونسأله التوبة عن بغيه لاننا لسنا قَتَلة بل خدام العدالة والحق

وبعد هذا الكلام تقدم جميع الاعضاء فودّعوا لوطيس وسرج وخرجوا من الردهة واحداً واحداً وبقي باكن لروا ورفيقاه الى اخر الجميع . فلما دنوا من لوطيس للوداع قالت لهم هل لنا ان نثق بامانتكم عَلَى الدوام

فقال باكن حتى الموت

فدنت منه لوطيس كثيراً والقت يدها عَلَى كتفهِ واشارت بعينيها الى سرج وكان واقفاً عند الباب وقالت له انه لا يُبارى بالحزم والرصانة وقوة الادراك . نعم انهُ خشن كالاسد ولكنه وديع كالطفل فاسأَلك ان تركن اليه مهما كنتَ من الناس

فارتعش باكن وضغط عَلَى يدها وقال — وهل هو عزيز جدًّا لكِ ؟ فما اسعدهُ !

فجذبت يدها من يده وقد صعد الدم الى وجهها فأَبرقت عيناها وقالت — اعلم ان جميع الرجال عندي عَلَى السواء فهم قساة واطفال حمقى وانا اشفق عليهم جميعاً احبهم عَلَى السواء . ولكن سرج هذا قد التقطني من الشارع وكنت طفلة بلا نصير فاعتنى بي ورباني ولذا فانا امينة له الى ما شاء الله

ولما قالت هذا ودّعته ورفيقيهِ وتحولت عنهم فتقدموا وودعوا سرج

وخرجوا ولما صاروا في الشارع قال ماكس لباكن — اتريد ان نرافقك

قال لا بل اسير وحدي لئلا يستريب احد بنا

فقال اكسيل — الا تسمح لي ان اتبعك واراقبك عن بعد

قال — لا بل اذهب وحدي واما انتما فانطلقا في طريق اخرى وغداً اشكركما

ثم سار وحده واخفاه الظلام · وسار ماكس واكسيل في جهة اخرى

...

في ابعد مسافة عن شارع الفقراء كان قصر الملك قائماً بابهته وفخامته يتلألأ في ضوء القمر ومن حوله الخفراء كلٌّ في مكانه حسب العادة · وكان احدهم يسير تحت نوافذ مخادع الملكة ولم يلبث ان وقف وقد ارسل بصره الى الافق يتامل مندهشاً في عجائب السماء وانهُ لكذلك اذ سمع فتح باب صغير من ابواب القصر ولم يكن لاحد حق بفتح هذا الباب الاَّ لاعضاء الاسرة المالكة · فاسرع الخفير ليرى الداخل فابصر شبحاً ملتفاً برداء وقد فتح الباب وهمَّ بالدخول · فقال الخفير — قف · من انت ؟

فاجاب الشبح انا الملك

فذُعر الخفير وأدَّى التحية وهو لا يتحرَّك من مكانه · اما الملك فدخل وأُقفل الباب وراءه

الفصل الحادي والعشرون

سرج ولوطيس

بعد خروج اعضاء الجمعية الفوضوية وانصرافهم الى بيوتهم بقي في المنزل سرج ولوطيس . وقد جلس سرج في كرسيه والقى يديه على المائدة وحنى راسه عَلى صدره ووقفت لوطيس امامه وقالت ببشاشة — اراك هذه الليلة قلق البال مشتت الخواطر فهل اقلقك عدم النجاح؟ لا جرم انك تجهد نفسك كثيراً فتكتب وتخطب في الجمهور ولكنك لا تتقدم تقدماً حسياً . فهل هذا ما يغمك؟

فقطب سرج حاجبيه وقال — كيف تقولين اننا لم نتقدم فكلمة واحدة اقولها للجمهور تجعلهم ان يهبوا كرجل واحد

قالت وما الفائدة من ذلك اذا هبوا فلا يلبثون ان يخضعوا للقوة اذ ياتي الجنود ويفرقونهم شذر مذر وقد يطلقون عليهم العيارات النارية ويزداد الشر . وبعد هذا فمن يعلم اذا كان الملك حقيقة يستحق عداوتنا فربما هو اتعس مني ومنك . والذي اراه ان اتعابنا ومساعينا ستكون عقيمة اذا ظلت الحالة عَلى ما هي الان . انت اخترتني لاكون نافخة لهذه الروح التي تريد بثها في الامة اما انت فماذا تنتظر لنفسك ؟

فنظر اليها سرج بعينين جاحظتين وقال — اريد السلطة . لا

السلطة التي يفهمها الجميع . بل اريد سلطة نافذة اتمكن بها من تغيير مجرى السلطة الحاضرة واستئصال جرثومة الفساد والوقوف في وجه تيار الاكليروس ورفع شان المضطهدين واجراء العدالة في نصابها . واريد فوق هذا سلطة لاجلك يا لوطيس ملكة جميع النساء

فضحكت وقالت انا ملكة الرجال وهذا حسبي فلا تتعب نفسك بشيءٍ لاجلي لاني لا استحق شيئاً اذ لم اعمل شيئاً

فنهض سرج ومد يديه اليها وقال انتِ تستحقين كل ما هو في وسع الرجل ان يقدمهُ للانثى . انا احبك يا لوطيس وقد احببتك منذ ساعة وجدتك مطروحة عَلَى درج قصر تيمشفار . وانتِ تعلمين اني احبك ولا احد من الرجال يستطيع ان يحب امرأة كحبي لكِ

فنظرت اليه لوطيس ولوائح الحزن والاسف بادية في عينيها ثم قالت بكل بساطة اما الآن فأنا اتمنى لك ليلة سعيدة . وتحولت تريد الانصراف فصاح بها سرج بصوت مرتعش . أهذا كل جوابكِ ? افلا تقدرين ان تسمعيني كلاماً اخر ? رجل يهبكِ نفسه كلها وانت تجاوبينهُ بقولك (اتمنى لك ليلة سعيدة) . افلا تعلمين بعد ان احياتي كلها بين يديك . فبالله لا تزيديني صدوداً واستيحاشاً بل اصرفي قلبك اليَّ وعديني بمبادلة الحب

قالت والاضطراب ظاهر في كلماتها — قلت لك مراراً اني لا اقدر ان احبك المحبة التي تطلبها مع اني شديدة الاخلاص والامانة لك . فلا

تكلفني ما هو فوق طاقتي . انا اعلم انك انقذتني من الجوع والموت ولو انك لم تفعل ذلك لكان خيراً ومنة . وحسبي الان اني احيا بفضل حنانك عليّ" فلا تطلب مني المزيد

فهز سرج راسه وسكت . وقد رات لوطيس ان حزنهُ مما لا يتصور فارادت ان تخفف عنه شيئاً فقالت ما رايك في رفاقنا الجدد ؟

قال لا اعلم الان شيئاً لاني لا اقدر ان اعتمد الا علَى نفسي وعليكِ . نعم ان باكن لروا كما ظهر لي شريف جداً وقد اغتبطت بانحيازه الينا وصرت ارى من نفسي ما يجعلني ان اركن اليه واعتمد علَى اصالة رايه غير ان تكتمه بالصورة التي رايناها مما يوجب الريبة والمظنة

قالت اما انا فقد وثقت به كل الثقة والذي اراه انهُ سيكون من اشد الناس اخلاصاً للجمعية واكثرهم نفعاً لها وان كان على هذه الصورة من التكتم والتحجب والمستقبل سيكشف لنا الغطاء عن كل ذلك

وبعد محادثة قصيرة في مواضيع مختلفة انصرفت لوطيس فنهض سرج واطفأ المصابيح ودخل مخدعه وهو يقول في نفسه : «اني احبك يا لوطيس ولاجلك ساتصدّى لاجراء كل شيء . فلتهلك العوالم والملوك والدول اما المحبة فيجب ان تملك ثم الموت . انا احبكِ بكل ما في نفسي من القوة ولن ادع احداً يحبك سواي ومن يتجاسر على ذلك

فليس امامه الا الموت . كل شيء لاجل لوطيس المشاق الكثيرة والمكايد المختلفة والامال الحلوة . الحكومة مضطربة والعرش في خطر والامة ناقمة والبلاد في نار الثورة والفوضوية . كل هذا لاجل لوطيس . فالمرأة هي اصل كل حركة في هذا الكون . فهي سبب الاضطرابات الدولية والحروب الجنسية والفتن الاهلية . واذا نظرنا في الاديان نفسها لا نرى الهاً الا ولظهوره علاقة بالمرأة . فهي المحرك الاكبر لكل مظاهر هذا الكون ... »

وظلَّ سرج يتقلب في فراشه وفي نفسه شجون فلم يستطع نوماً وبقي مشرد الفكر مشغول البال حتى انقضى الليل وبزغ نور النهار

الفصل الثاني والعشرون

هنري وروجر

ولما كان صباح اليوم التالي ذهب السير روجر دي لوني كاتم اسرار الملك الى القسم الغربي من القصر حيث كان الاستاذ هنري فون غلاو بن طبيب البلاط الملوكي فالفاه جالساً الى مائدة في الحديقة مهتماً بمطالعة رسائل واوراق كانت منضدة امامه فحياه روجر وجلس بازائهِ وهو يقول انك ايها الصديق لا تهتم لشيء فاراك جالساً هنا بين الازهار والرياحين خلي البال كانك لا تبالي بالخطر . اما انا فلم تغمض عيناي حتى الان

فضحك هنري وقال — انك تكدّ ذهنك وتسهر جفنك بالفارغ وعندي ان الامور الخطيرة يجب ان يتلقاها المرء بتمام السكينة فلا يتهيج ولا يضطرب · وهل رايت اليوم جلالة الملك ؟

قال نعم رايتهُ قبل مجيئي اليك وساراه عند الظهيرة ايضاً

قال وانا ايضاً ابصرته ورأيته بتمام العافية وكمال النشاط

قال وباي داعٍ رايته

قال دعاني لاجس نبضهُ وانظر لسانه فالظاهر انه قصد بهذه الدعوة ان يمازحني قليلاً ليبين لي ان ننظر الى هذا العمل الخطير كالى رواية تمثيلية مجونية ليس الا وهو مصيب في رايه ·

فهزّ روجر راسه وقال اما انا فلا اقدر الا ان اضطرب واكون شديد القلق ودائم الخوف والهلع · فلا اقوى على المظاهرة بالمجون والفكاهة اذا كان في الامر خطر ما

قال ما لنا وللاخطار فما علينا الاّ ان ننقاد له ونمتثل امره · وستتعلم ان تكون مثلي · والان اخبرني ماذا يريد الملك من مقابلتك عند الظهر

قال لانه ارسل بطلب كبير الوزراء لمقابلة سرية

فاخذ هنري لفافةً عن المائدة فاشعلها وناول مثلها لروجر وقال سنرى ماذا يكون

فتناول روجر اللفافة واشعلها ايضاً وقال — وسيسافر جلالته مع

الملكة بعد هذه المقابلة الى الجزائر

فاجفل الطبيب ووقف عَلَى قدميه وقال — لا يمكن ان يكون هذا

فضحك روجر طويلاً وقال — اني أؤكد لك ذلك لانه امر بتجهيز اليخت ليخرج من العاصمة الساعة الثالثة بعد الظهر . وسيتناول طعام العشاء مع الملكة عَلَى ظهر اليخت في ضوء القمر

فلما سمع هنري ذلك تغيرت ملامح وجهه واطرق براسه الى الارض دون ان ينبس ببنت شفة

فازداد روجر اندهاشاً وقال انتَ لا تروعك الخطوب ولا يهزك شيء من الحوادث فكيف اضطربت وارتعدت وقمت وقعدت وانا لم انبئك الاَّ بحادث اعتيادي بسيط

فاخرج هنري من جيبه منديلاً فمسح به العرق المتحلب من جبينه وقال — نعم يا صديقي العزيز فانا مضطرب جداً الان ولا يسعني الاَّ ان اسعى حالاً فأجد زورقاً اركبه واطير به الى الجزائر

فجحظت عينا روجر وقال وما الداعي لهذا السفر الفجائي الى الجزائر فربما . . .

فقاطعه هنري قائلاً — انت لا تقدر ان تتصوّر ان رجلاً بسني يسعى في مقابلات غرامية وانهُ واقع فعلاً في شرك الهوى . ولما كانت محبوبتي ساكنة في الجزائر فاخشى ان يبصرها الملك ويطلع على ما لا احبّ من شؤوننا . . ولكن ما لي اراك شاخصاً اليّ وفاغراً

فملك . العلك لم تعشق في زمانك

فهز روجر راسه وقال — يا للعجب وكيف لم انتبه الى ذلك قبلاً . . . فاذاً انت عاشق ولهان !

قال نعم لسوء الحظ وينبغي لي ان اشخص الى الجزائر في هذه اللحظة ولو على رجلي لاني اريد ان اتزود نظرة من مالكة فوءادي وانت تعلم اننا في كل دقيقة معرضون للاخطار

قال واذا طلبك الملك واراد ان يستصحبك معهُ في هذه السفرة فبماذا نجاوبه

قال انه لا يطلبني وهب انه طلبني فقل له اني خرجت لترويح النفس . ولكن ألا تعرف سر الملك وما هو السبب الذي يدعوه الى هذا السفر الفجائي

فاجاب روجر وقد اشار بيده الى جهة في الحديقة — هذا هو السبب

وكان وقتئذٍ ان ولي العهد قد ظهر في بعض اطراف الحديقة فالتفت هنري فرآه فامتقع لونهُ . وكان ولي العهد قادماً الى جهتهما وبيده كتاب يقرأه ويمشي الهوينى . ولما اقترب منهما قام الصديقان لتحيتهِ . فقال ولي العهد للطبيب — انك ايها الاستاذ تبكر في النهوض من النوم كل غداة لتستنشق هواء الصباح فالظاهر ان ذلك من شروط الصحة كما يفيد العلم

فقال هنري لا شك في ذلك والنزهة الصباحية في البحر افيد بكثير منها مساء في ضوء القمر

فاتسعت حدقتا ولي العهد عند سماعهِ ذلك وفهم ان الطبيب يرمي بكلامه هذا الى غرض ٍ مهم . فقال لروجر وهل انتَ ايها السير علىَ هذا الاعتقاد

قال — لا اعلم ياذا السمو ولكن اذا كان الاستاذ هنري هكذا يقول فكلامهُ حقيقة راهنة

فاجال البرنس نظره في صفحة من صفحات الكتاب الذي بيده وقال للطبيب — كنت اقرأُ الان هنا ان الناس في العهد الغابر كانوا اكثر سعادة من هذا العصر الحاضر وقد جئت لاباحثك في هذا الشان فهل لك ان تسير معي قليلاً وتطلعني علىَ ارائك ؟

فانحنى هنري لولي العهد وقال — لا احب الي من محادثتك ياذا السمو في كل امر ٍ تريد السوءال عنه

فنظر ولي العهد الى روجر ببشاشة ثم خفض راسه قليلاً وسار مع الطبيب ووقف روجر ينظر اليهما و يقول في نفسه : عجباً وما هو هذا الشرك الغرامي الذي وقع فيه صديقي هنري و يريد كتمانه عن الملك ؟ وهل يمكن ان يكون لذلك علاقة مع ولي العهد؟

وانه لكذلك اذ سمع صوتاً يناديه باسمه فالتفت واذا باخته تريزا تقول له — ما بالك قلقاً مغموماً في هذا الصباح على غير عادتك

وماذا يريد البرنس من مقابلة الطبيب وانفراده به

وكانت تريزا وصيفة للملكة ومحبوبة جداً في البلاط . فلما رآها روجر بادر اليها فعانقها وقال — سوء الان في وقت واحد . فاسمحي لي اولاً ان اسألك بدوري عن سبب مجيئك الان

قالت جئتُ لادعوك الى جلالة الملكة فهلمَّ اليها

فارتعش روجر لدى سماعه هذه الكلمات واصفرَّ وجههُ . وقد شعرت بذلك اختهُ فتنهدت . اما هو فقال لها — واين الان جلالتها؟

قالت مشيرة بيدها — في تلك الجهة من الحديقة وقد رأتك وارسلتني لادعوك قال — اذهبي فها انذا آت لمقابلتها

الفصل الثالث والعشرون

اهتمام الملكة

في احد اطراف الحديقة كانت بركة ماء تحدق بها الازهار الجميلة من الياسمين والزنبق ومن حولها اشجار مشتبكة ببعضها كسور يحيط بها . ففي هذا المكان الجميل كانت جالسة الملكة وحدها بدون وصائفها الا تريزا . فلما أقبل روجر خرجت تريزا ودخل هو فحيا الملكة ووقف امامها محني الراس لا يكاد يرفع اليها بصره . فنظرت هي اليه طويلاً ثم وقفت ومدَّت يدها فانحنى روجر على تلك اليد الجميلة وقبلها بكل احترام